



المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات  
Arab Center for Research & Policy Studies

تقييم حالة | 9 آذار / مارس، 2022

# تداعيات الغزو الروسي لأوكرانيا على الشرق الأوسط

جو معكرون

# تداعيات الغزو الروسي لأوكرانيا على الشرق الأوسط

سلسلة: تقييم حالة

9 آذار / مارس، 2022

جو معكرون

باحث في العلاقات الدولية، ومرشح لدرجة الدكتوراه في جامعة باث البريطانية. تتركز أبحاثه في السياسة الأمريكية والعلاقات الدولية وتحليل النزاعات في الشرق الأوسط. يولي دول المشرق العربي اهتماماً بحثياً خاصاً. باحث غير مقيد في المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. عمل سابقاً في مركز مكافحة الإرهاب في ويست بوينت، ومركز كولين باول للدراسات السياسية في نيويورك. كما شغل عدة وظائف في منظمة الأمم المتحدة وصندوق النقد الدولي. حاصل على درجة الماجستير في العلاقات الدولية من جامعة نيويورك.

جميع الحقوق محفوظة للمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات © 2022

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات مؤسسة بحثية عربية للعلوم الاجتماعية والعلوم الاجتماعية التطبيقية والتاريخ الإقليمي والقضايا الجيوستراتيجية. إضافة إلى كونه مركز أبحاث فهو يولي اهتماماً لدراسة السياسات ونقدها وتقديم البديل، سواء كانت سياسات عربية أو سياسات دولية تجاه المنطقة العربية، وسواء كانت سياسات حكومية، أو سياسات مؤسسات وأحزاب وهيئات.

يعالج المركز قضايا المجتمعات والدول العربية بأدوات العلوم الاجتماعية والاقتصادية والتاريخية، وبمقاربات ومنهجيات تكاميلية عابرة للتخصصات. وينطلق من افتراض وجود أمن قومي وإنساني عربي، ومن وجود سمات ومصالح مشتركة، وإمكانية تطوير اقتصاد عربي، ويعمل على صوغ هذه الخطط وتدريقيها، كما يطرد بها كبرامجاً وخططٍ من خلال عمله البحثي وحمل إنتاجه.

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

شارع الظرفة، منطقة 70

وادي البنات

ص. ب: 10277

الظعاين، قطر

هاتف: + 974 40354111

[www.dohainstitute.org](http://www.dohainstitute.org)

# المحتويات

2	حسابات الحياد الإقليمي
3	انعكاسات على الحراك الإقليمي
4	سياسات الطاقة والأمن الغذائي
6	خاتمة
7	المراجع



لم تكتمل بعد ملامح الغزو الروسي لأوكرانيا. وعلى الرغم من ذلك، تظهر مؤشرات أولية متعلقة بكيفية تعامل الحكومات العربية والإقليمية مع هذه الأزمة؛ في ضوء التحالفات التي بنتها روسيا في العقد الأخير، وдинامية العلاقات الأمريكية - الروسية. وأبعد من ذلك، الطبيعة المعقدة لهذا النزاع المسلح الذي يشتمل على عناصر متراقبة من المواجهة الاقتصادية والجيوسياسية، وعناصر أخرى مرتبطة بأسعار الطاقة وأنابيب الغاز وإمدادات القمح والممرات الاستراتيجية. فأين هو الشرق الأوسط من كل هذه التداعيات والتحولات؟

في البداية، هناك النطاق الأوسع لذلك الحراك العسكري. لقد كان الرئيس الروسي فلاديمير بوتين دائمًا يتحدى الهيمنة الأمريكية ضمن الحدود المتاحة في النظام الدولي، الذي كانت تستفيد روسيا ونخبها من طبيعته الرأسمالية. إنّ غزو أوكرانيا لا يتعارض مع مبدأ عدم التدخل الذي يطبع الأدبيات الروسية الرسمية فقط، بل أعطى الولايات المتحدة الأمريكية فرصًا استثنائية لتكريس تلك الصورة عن الرئيس بوتين من جهة أنه يقود نظامًا «مارقاً»، على الرغم من تكرار إقدام الولايات المتحدة، أيضًا، على الغزو العسكري خلال العقود الأخيرة. تمكنت إدارة الرئيس الأمريكي جو بايدن من استباق حرب بوتين الأوكرانية قبل دعوتها عبر التحذير العلني منها؛ ومن ثم مهدت الطريق لضغط غربي عزلت روسيا اقتصاديًا عن نظام العولمة، ورفعت تكلفة الهجوم على أوكرانيا. الهدف المعلن هو تغيير حسابات بوتين، لكنّ الهدف في الوقت نفسه هو ردع محاولات روسيا، على المدى الطويل، عن تحدي الأحادية الأمريكية. وفي هذا السياق، توجد ثلاثة عوامل مؤثرة على المستوى الإقليمي.

- أولاً، يعزز هذا النزاع العسكري الانقسام بين الشرق والغرب، لا سيما التأثير في صورة بوتين بين من يراه في طلب المواجهة مع الهيمنة الأمريكية ومن يعتبر الخسائر في صفوف الجيش الروسي على الحدود الأوكرانية دليلاً ارتباكاً. وإذا لم يتمكن بوتين من اكتسابها في أوكرانيا واستيعاب العزلة الاقتصادية، فإنّ هذا الأمر قد يُضعف «الهالة» التي اكتسبها منذ تدخله العسكري في سوريا عام 2011؛ أي الفعالية العسكرية والدبلوماسية في تحقيق المصالح الروسية الاستراتيجية. والانطباع الإقليمي في تقييم خلاصة غزو أوكرانيا له تداعيات على النفوذ الروسي في المنطقة، ويؤثر تلقائياً في طبيعة تفاعل الحكومات الإقليمية مع روسيا أيضًا.

- ثانيًا، يؤثر انحسار القدرات المالية والاقتصادية لروسيا، عبر العقوبات، وإبعاد روسيا عن نظام «سويفت»<sup>1</sup>، الذي يدخل حيز التنفيذ في 12 آذار/مارس الحالي، سلبيًا في نفوذ روسيا في المنطقة وقدرتها على التبادل التجاري والمناورة والاستثمار، وخصوصًا بشأن إعادة إعمار سوريا والتعامل التجاري مع مصر ودول الخليج. لقد بلغ التبادل التجاري بين روسيا والدول العربية نحو 18 مليار دولار فقط خلال العام الماضي<sup>2</sup>، في حين بلغت الصادرات الأمريكية إلى العالم العربي نحو 45 مليار دولار عام 2020، وقد تضرر الحكومات العربية إلى التريث في إبرام عقود حكومية أو تجارية مع روسيا في المدى المنظور نتيجة النزاع في أوكرانيا.

- ثالثًا، أثبت الغزو الروسي لأوكرانيا أنّ تحالفات روسيا الإقليمية هي تحالفاتٌ ظرفية في أغلبها، وأنّها ليست بالضرورة استراتيجية، وأنّ روسيا ليس لديها - بطبيعة الحال - مستوى قدرة الولايات المتحدة نفسه على التحفيز والعقاب خلال الأزمات الدولية.

<sup>1</sup> Philip Blenkinsop, "EU bars 7 Russian banks from SWIFT, but spares those in energy," *Reuters*, 3/3/2022, accessed on 5/3/2022, at: <https://reut.rs/35Qpf3s>

<sup>2</sup> "حجم التبادل التجاري بين روسيا والدول العربية بلغ 18 مليار دولار عام 2021". الاقتصاد. 2022/1/27. 2022/3/7. شهود في 7. 2022. في 3/7. 2022.

<sup>3</sup> National US-Arab Chamber of Commerce, "Pandemic sinks exports to Arab world by 27 percent in 2020 to \$45.66 billion," 16/2/2021, accessed on 4/3/2022, at: <https://bit.ly/3hLHIGp>



## حسابات الحياد الإقليمي

تجد الحكومات العربية والإقليمية التي كانت تراهن في المرحلة الأخيرة على استرداد كل من الولايات المتحدة وروسيا نفسها مضطرةً إلى أخذ موقفها من الغزو الروسي. فعلى سبيل المثال، في 2 آذار / مارس 2022، صوتت 15 حكومة عربية لقرار إدانة روسيا في الجمعية العامة للأمم المتحدة<sup>4</sup> (مصر، والبحرين، والكويت، ولبنان، وليبيا، وموريتانيا، وعمان، وقطر، وال سعودية، وتونس، والإمارات، واليمن، وجزر القمر، وجيبوتي، والصومال)، وامتنعت ثلاثة حكومات عربية عن التصويت لهذا القرار (الجزائر، والسودان، والعراق)، في حين اعترضت سوريا على إدانة روسيا، وفضل المغرب ألا يتخذ أي موقف. أما على صعيد شركاء روسيا الإقليميين، فقد كان تصويت تركيا مع الإدانة، في حين امتنعت إيران عن التصويت. قد تبدو هذه الإدانة لروسيا بأغلبية كبيرة دليلاً على صلابة الضغوط الأمريكية، لكن الحكومات العربية والإقليمية المعنية تنازلت للولايات المتحدة من حيث الشكل في بيانات الإدانة التي لا تأثير فعلياً لها، وتمسكت بالمضمون؛ أي عدم تدعي روسيا، وعدم اتخاذ إجراءات ضدها. ولهذا الحياد الإقليمي حساباته وحيثياته ودوافعه.

رفضت السعودية طلباً أميركياً متعلقاً بفتح المزيد من النفط للمساعدة في الحد من ارتفاع أسعار النفط الخام. لكن، في الوقت نفسه، لم ترُّ منظمة الدول المصدرة للنفط (أوبك)، التي تقودها السعودية، على قرار الولايات المتحدة ودولاتها في وكالة الطاقة الدولية بشأن ضخ 60 مليون برميل من النفط، من مخزونات الطوارئ لديها، لإمداد الأسواق العالمية بالنفط الخام؛ من أجل احتواء ارتفاع الأسعار. أما الإمارات، التي ترأس مجلس الأمن الدولي في آذار / مارس الحالي، فقد امتنعت عن التصويت، في 25 شباط / فبراير، لمشروع قرار أمريكي يندد بغزو أوكرانيا، ويطلب روسيا بالانسحاب، مقابل دعم روسيا لمشروع قرار إماراتي يصنف الحوثيين جماعة إرهابية، ويتوسيع الحظر على إيصال الأسلحة إلى اليمن<sup>5</sup>. كانت الإمارات أكثروضوحاً في أخذ مسافة من الموقف الأميركي، وهي تتميز في سياستها الخارجية عن الولايات المتحدة منذ انتخاب بايدن، وقد تعزز هذا المسار في ظل التقارب الأميركي - القطري في عهد بايدن، بعد التقارب الأميركي - الإماراتي في عهد سلفه دونالد ترامب. من ناحية أخرى، بربت انقسامات داخلية في تونس والعراق ولبنان؛ حيث تزداد الضغوط على هذه الحكومات لتخرج من حيادها وتدين الغزو الروسي من جهة، أو حتى لا تنازلي إلى الموقف الأميركي من جهة أخرى. وعلى سبيل المثال، كان موقف لبنان الرسمي مع إدانة الهجوم الروسي على أوكرانيا نتيجة الضغوط الأمريكية في ظل اعتراف خجول من حزب الله وحلفائه؛ وهكذا، كان هذا الأمر بمنزلة تذكرة جديدة مفاده أن نفوذ روسيا في لبنان يبقى محدوداً.

لقد أخذت كل من تركيا وإيران وإسرائيل مسافةً من روسيا، من دون تدقيق هذه المسافة. ووجد الرئيس التركي رجب طيب أردوغان، الذي استفاد من تآزم العلاقة بين الولايات المتحدة وروسيا خلال السنوات الأخيرة، نفسه أمام فرصة استفاده من هذا النزاع مقابل عدم الإفراط في استفزاز الرئيس بوتين، مع ما قد يعنيه ذلك من تبعات وإجراءات روسية عقابية محتملة قد تستهدف أسس الاقتصاد التركي. إن تركيا تؤيد أوكرانيا في خطاباتها العلنية، وتتوفر طائرات مسيّرة يستخدمها الجيش الأوكراني ليصدّ بها - بفعالية - الهجوم الروسي، لكن تركيا نفسها، في الوقت ذاته، ترغب في تفادي ارتدادات الحرب على حدودها الشمالية، وترفض من ناحية أخرى - مقابل دعمها الضمني والعلني لأوكرانيا - فرض عقوبات على روسيا مثلاً رفضت سابقاً الالتزام

<sup>4</sup> Emily Ferguson, "Which countries abstained from UN vote on Ukraine? Result of General Assembly's resolution on Russia explained," *Inews*, 3/3/2022, accessed on 4/3/2022, at: <https://bit.ly/3hHHrif>

<sup>5</sup> Benoit Faucon & Summer Said, "U.S., IEA Agree to Release 60 Million Barrels From Oil Stockpiles Amid Ukraine Turmoil," *The Wall Street Journal*, 1/3/2022, accessed on 4/3/2022, at: <https://on.wsj.com/3Vkkq6P>

<sup>6</sup> Barak Ravid, "UAE abstained from UN Security Council vote due to U.S. response to Houthi attacks," *Axios*, 2/3/2022, accessed on 5/3/2022, at: <https://bit.ly/35VZvm5>



بالعقوبات الأمريكية على إيران. ومن ثم، يحاول أردوغان تَرْك خطوط التواصل مفتوحة مع روسيا؛ إذ قال بعد اجتماع الحكومة التركية: «نقول إننا لن نتخلى لا عن أوكرانيا ولا عن روسيا»<sup>7</sup>، في موقف قد يكون من الصعب ترجمته سياسياً على وقع المواجهات العسكرية.

كانت إيران في حيادها واضحةً أيضاً؛ لسبعين رئيسين. أولهما أنّ روسيا لم تَقْفِ معها موقفاً حاسماً في مواجهتها لإدارة ترامب والضغوط الأمريكية التي فُورست عليها. أمّا ثانيةهما، فهو متمثل بأنّ الأولوية الإيرانية فوق كل اعتبار؛ وهي في الوقت الراهن إعادة إحياء الاتفاق النووي ورفع العقوبات الأمريكية عليها، وهذا فإنها لا تحتاج إلى مواجهة «مجانية» مع إدارة بايدن في مثل هذا التوقيت الذي قد يعُكّر صفوًّا مفاوضات فيينا. إنّ رفض إيران محاولات روسيا تعطيل مفاوضات فيينا يُظهر، مرةً أخرى، المصالح والأولويات المتناقضة بين الطرفين، ويُظهر انعدام الثقة أيضاً، وذلك على الرغم من الشراكة الاستراتيجية التي تجمع بينهما. لقد بَرَزَ تَبَيَّنَ وانقسام داخلي في الموقف الإسرائيلي بين توجيه اللوم بشأن الأزمة الأوكرانية إلى الولايات المتحدة ومعاييرها المزدوجة من جهة، ومتطلبة رسمية بوقف الهجوم الروسي وبيانات دعمٍ لأوكرانيا، مثل تغريدة الرئيس الإيراني الأسبق، محمود أحمدى نجاد، من جهة أخرى.

ثم إنّ روسيا، بعد أن دعمت الحكومة الإسرائيلية في بيان «وحدة وسيادة أوكرانيا وأراضيها»<sup>8</sup>، أعلنت عدم اعترافها بالاحتلال الإسرائيلي لمرتفعات الجولان. وعلى الرغم من أنّ هذه المواقف العلنية من الطرفين لا قيمة فعلية لها، فإنّ إسرائيل لم تذهب بعيداً في إجراءاتها، ورفضت طلباً متعلقاً بإرسال أسلحة ومعدات عسكرية إلى أوكرانيا، وهو رفض يعود إلى أسباب داخلية إسرائيلية. لكن الهاجس الرسمي الإسرائيلي هو أنّ إسرائيل إن صارت طرفاً مع أوكرانيا فإنّ روسيا قد تَرُدّ عبر الحدّ من تحركها الجوي فوق الأراضي السورية لدعم إيران وحلفائها<sup>9</sup>.

## انعكاسات على الحراك الإقليمي

في ظل هذه الدساتير، تبرز تأثيرات محتملة في دينامية المنطقة. فالحكومات الإقليمية ترتيب أوراقها منذ انتخاب بايدن، وتبادر ودتها بحوارات ثنائية لخفض التوتر فيما بينها. أمّا تركيا، فقد فتحت قنوات اتصال مع مصر والإمارات وإسرائيل. هناك حوار بين قطر ومصر، وبين السعودية وإيران. وهكذا، فإنّ هذه الحكومات لا تزيد أن يؤثّر الهجوم الروسي على أوكرانيا سلبياً في هذه الدينامية عبر إيجاد استقطابات جديدة. ولا يبدو أنّ بعض الحكومات العربية ترغب في رؤية هزيمة روسية في أوكرانيا؛ ما قد يكرّس نفوذ الولايات المتحدة، و يجعل من الصعب الاعتماد على غيرها لتنويع التحالفات. وبعد من ذلك أنّ الولايات المتحدة، تقوم بردّ وعزل روسيا التي تتحالف معها دوليات عربية، لكنها تتجه إلى اتفاق نووي محتمل قد ينهي عزلة إيران الاقتصادية؛ ما يعني أن التركيز الأمريكي لا يتواافق مع أولويات الحكومات العربية التي ترى روسيا رادعاً لإيران وأن إضعاف روسيا لا يحقق أهدافها هذه.

لقد أظهر الهجوم الروسي على أوكرانيا هشاشة تحالف «أستانة» في سوريا الذي يضم روسيا وتركيا وإيران. وقد تستفيد تركيا وإيران من عزلة روسيا الاقتصادية؛ لأنّ الأخيرة ستضطر إلى الشراكة التجارية معهما، وستضطر أيضاً إلى التسوية معهما في مناطق النزاع التي تشارك فيها هذه الدول. وسقوط حكومة

<sup>7</sup> أردوغان: نواصل مبادراتنا الدبلوماسية لإحلال السلام بين روسيا وأوكرانيا، وكالة الأناضول، 2022/2/28، شوهد في 7/3/2022، الرابط: <https://bit.ly/34kga2z>

<sup>8</sup> Jonathan Lis and Sam Sokol, "In First Official Statement, Israel Says It Supports Ukraine's Territorial Integrity, Sovereignty," *Haaretz*, 23/2/2022, accessed on 5/3/2022, at: <https://bit.ly/3MvTey>

<sup>9</sup> David S. Cloud, Benoit Faucon & Summer Said, "U.S. Diplomatic Push for Ukraine Falters in a Middle East Influenced by Russia," *The Wall Street Journal*, 3/3/2022, accessed on 5/3/2022, at: <https://on.wsj.com/3ttmEV6>



الرئيس الأوكراني فلاديمير زيلينسكي هو عملياً سيطرةً لروسيا على كامل الشاطئ الأوكراني؛ ما يعني إحكام سيطرتها على البحر الأسود، فضلاً عما في هذا الأمر من تحدٌ لتركيا؛ وفي هذه الحال، ستكون تحت سيطرة روسيا قواعد بحرية في سيفاستوبول وشبه جزيرة القرم وطرطوس. إنّ تركيا تتعاون مع روسيا في أكثر من ملف إقليمي، لكنها تنافسها في سوريا ولibia وأذربيجان، وفي الوقت الراهن أصبحت تركيا فاعلةً في أوكرانيا أيضاً، وربما لا يتجاوز بوتين بسهولة قرار أردوغان المتمثل ببيع طائرات مسيّرة للجيش الأوكراني. وبعد انتهاء الهجوم العسكري على أوكرانيا، قد يكون موقفه أقل مرؤنةً مع تركيا فيما يتعلق بإدلب، لكن روسيا غير قادرة حالياً على فتح جبهتين، وأصبحت وضعيتها الدولية أكثر هشاشة. بيد أنّ هذا لن يمنع بوتين من تحقيق أهداف تضرّ بالصالح التركي؛ على غرار قنّعه 16 سفينةً تركية محملة بزيت دوار الشمس الخام من العبور من خلال البحر الأسود<sup>10</sup>؛ ما قد يؤدي إلى نقصٍ من هذه السلعة في السوق التركية، وهو ما قد يعكس حتى على المناطق السورية التي تخضع للسيطرة التركية. لكن، بشكل عام، أصبح بوتين يحتاج إلى أردوغان أكثر من احتياجاته إليه من قبل، باعتبار أنّ تركيا لم تفرض عقوبات على روسيا، ثم إنّها قد تساعدها على كسر عزلتها، لا سيما مع احتدام هجرة رؤوس الأموال الروسية والسياح إلى تركيا هرباً من العقوبات. ولذلك، من المستبعد أن يؤدي التدخل العسكري الروسي في أوكرانيا لإعادة تمويع تركي كامل إلى جانب الغرب.

إذا فشلت جهود إعادة إحياء الاتفاق النووي في الفترة المقبلة، سيعزز تقارب إيران مع روسيا. وفي حال التوصل إلى تسوية، ستأخذ إيران - على الأرجح - مسافةً من روسيا. أمّا الولايات المتحدة، في هذه الحال نفسها، فقد تكون مضطورةً إلى أن تردع كلاً من روسيا وإيران على نحو متوازن؛ ذلك أنهما قد يمارسان الضغوط على إدارة بايدن في مناطق النزاع في الشرق الأوسط لدفعها إلى طاولة المفاوضات. لهذا السبب، قد يعطي الهجوم الروسي على أوكرانيا إدارة بايدن حافزاً لإنجاز اتفاق نووي مع إيران بحدّ أدنى؛ على نحو لا يفتح معركةً داخليةً أميركيةً في حال تنازل الولايات المتحدة لإيران «أثُرَّ مما يلزم» ضمن معايير التفاوض الأميركي. أمّا إذا لم يحقق بوتين أهدافه في أوكرانيا، فإنّ هذا الأمر قد يدفع تركيا وإيران وإسرائيل لاختبار روسيا في سوريا عند الضرورة، لا سيما في ظل الترابط المتزايد بين الساحتين السورية والأوكرانية.

## سياسات الطاقة والأمن الغذائي

إنّ سياسات الطاقة والأمن الغذائي والمرارات الاستراتيجية جزءٌ رئيسٌ من حسابات الغزو الروسي لأوكرانيا وتداعياته. وقد انعكس الحياد العربي في المجال النفطي أيضاً. ومن ثمّ، فإنّ أسعار النفط ستبقى مرتفعة في المدى المنظور نتيجةً لمسك السعودية باتفاق «أوبك بلس» مع روسيا الذي رعته إدارة ترامب في نيسان / أبريل 2020. وقد انعكس هذا الحياد، أيضاً، على المضائق الاستراتيجية التي لم يجر إغلاقها بشكل مباشر أمام حركة الملاحة الروسية. طبقت تركيا بنود «اتفاقية مونترو»، ومنع كل السفن الحربية من عبور البوسفور وال الدردنيل، في حين ضمنت مصر حيادية قناة السويس وعدم إغلاقها في وجه السفن العسكرية أو سفن الشحن الروسية، المصدرة أو المستوردة، إذ ليس ثمة حالة عداء بين روسيا ومصر.

أمّا أبرز التداعيات على المدى الطويل، فهي متعلقةً بقطاع الغاز. فمع توقيف مشروع «نورد ستريم 2»<sup>11</sup>، وهو مشروع يربط الغاز الروسي بألمانيا عبر أوكرانيا بسبب العقوبات الأمريكية وسحب الولايات المتحدة دعمها لمشروع أنبوب «إيست ميد» الذي عارضته تركيا، وينقل غاز شرق المتوسط من إسرائيل عبر قبرص - اليونان إلى إيطاليا، قد يفتح الهجوم الروسي على أوكرانيا احتمالات جديدة لأنابيب الغاز إلى أوروبا. ثم إنّ من دوافع

<sup>10</sup> "روسيا تمنع عبور 16 باخرة شحن تركية في بحر آزوف"، زمان التركية، 4/3/2022، شوهد في 7/3/2022، الرابط: <https://bit.ly/3tDjq1l>

<sup>11</sup> Alexander Gladstone, "Nord Stream 2 Gas Pipeline Lays Off All Employees," *The Wall Street Journal*, 1/3/2022, accessed on 4/3/2022, at: <https://on.wsj.com/3HOhVCD>



الالتزام تركياً الحياد بين روسيا وأوكرانيا إبقاء جسور التواصل مع الأوروبيين، ومحاولة ضمان سيناريyo عبر غاز شرق المتوسط إلى أوروبا عبر تركيا بدلاً من اليونان، أمّا في حال كسب بوتين رهانه وسقوط مشروع «نورد ستريم 2» نهائياً فهناك أيضاً خط «تورك ستريم» الذي يربط روسيا بتركيا، والذي يمكن وصله بأوروبا.

إن إيران أيضاً جاهزة لملء فراغ الغاز الروسي في حال ازدياد عزلة بوتين الدولية وتحوله إلى عبء على حلفائه. وبعد أن استفادت روسيا، على امتداد فترة طويلة، من العقوبات الأميركيّة والدولية على إيران، قد تتعكس الأمور؛ فتصبح إيران هي المستفيدة من عزلة روسيا المستجدة في حال إعادة إحياء الاتفاق النووي الإيراني. وإذا صحت تقديرات احتياط الغاز في حقل «تشالوس» للغاز في بحر قزوين، فإن إيران ستكون قادرة، على المدى الطويل، على نزع أوراق ضغط قوية من أيدي روسيا في تعاملها مع تركيا والاتحاد الأوروبي، إنْ قررت التنافس مع روسيا في تصدير الغاز؛ ما قد ينعكس سلبياً على العلاقات الثنائية بينهما. لكن إيران تحتاج إلى ترتيبات لوحيّة ودبلوماسية قد تستغرق وقتاً لنقل الغاز إلى أوروبا التي لا يمكن أن يصمد اقتصادها طويلاً في حال توقيف إمدادات الغاز الروسي. وفي المدى المنظور، لا يبدو أن إيران راغبة في إعلان هذا التحدّي، في ذروة المعارك الروسية، أو أنها قادرة على ذلك. وحتى تركيا، ستُبقي - على الأرجح - سياسة استيراد الغاز من روسيا وإيران؛ حتى تنوع مصادر الطاقة، وحتى لا تصبح معتمدة على أيّ طرف منهما بشكل كامل.

لقد زار وزير الخارجية الإيطالي، لوبيجي دي هايو، الجزائر<sup>12</sup>، في 28 شباط / فبراير الماضي، في محاولة لزيادة إمدادات الغاز من شمال أفريقيا عبر أنبوب «ترانس ميد» الذي يربط إيطاليا بالجزائر عبر تونس؛ خشية تراجع إمدادات الغاز الطبيعي الروسي، لكن الجزائر غير قادرة على ملء فراغ الغاز الروسي في أوروبا في المدى المنظور. إن الجزائر تصدر لإيطاليا حالياً نحو 22 مليار متر مكعب من الغاز في أنبوب قادر على ضخ 32 مليار مكعب كحد أقصى سنوياً<sup>13</sup>، في حين استوردت أوروبا من روسيا نحو 168 مليار متر مكعب عام 2020.

من جهة أخرى، تتفاوت التداعيات الاقتصادية بين البلدان العربية. توجد آثار سلبية للنزاع في أوكرانيا متعلقة بالأمن الغذائي في مصر وتونس ولبنان، مقابل فوائد اقتصادية لمجلس التعاون لدول الخليج العربية والعراق. وقد عطل الهجوم الروسي على أوكرانيا إمدادات الطاقة والقمح في العالم العربي؛ ما يعني ارتفاعاً في أسعار النفط والخبز قد تؤدي إلى اضطرابات اجتماعية في بعض البلدان العربية إن طالت الأزمة، لا سيما في مصر؛ حيث تعتمد أغلبية المصريين على الخبز المدعوم من الحكومة. أمّا المشرق العربي فهو يتخطى في أزمات متتالية. فالحكومة اللبنانية - على سبيل المثال - ليس لديها ما يكفي من القمح المُدرَّن، ثم إنها اضطرت إلى رفع سعر المدروقات. وفي ظل العقوبات والاعتماد الاقتصادي على روسيا، ثمة تأثير مباشر في سورية أيضاً. فإذا طالت الأزمة، ستتشاءم حاجة إلى إيجاد بدائل في البلدان العربية التي تستورد القمح من روسيا وأوكرانيا.

من ناحية أخرى، يبدو تأثير النزاع في أوكرانيا محدوداً بالنسبة إلى العراق؛ لأنّه يستورد القمح، منذ عام 2003، من أستراليا وكندا والولايات المتحدة، في حين أنه يستورد الغاز من إيران ضمن أسعار محددة في عقود، وضمن استثناء أمريكي من العقوبات؛ وذلك في وقت يستفيد فيه العراق من ارتفاع أسعار النفط، بالنظر إلى أنه من الدول المصدرة له، مثل السعودية التي تستفيد من زيادة أسعار النفط أيضاً، وهذا الأمر سينعكس إيجابياً على مجمل دول مجلس التعاون، وسيعوضها عن خسائر مالية سابقة. ومن البلدان المستفيدة اقتصادياً أيضاً تركيا، وإيران التي قد يتعزّز التبادل التجاري معها على الرغم من العقوبات الأميركيّة، أمّا الإمارات فقد تعزّز دورها بوصفها مركزاً مالياً وتجارياً للمستثمرين الروس.

<sup>12</sup> Stephen Jewkes & Angelo Amante, "Italy to get more gas from Algeria, foreign minister says," *Reuters*, 28/2/2022, accessed on 5/3/2022, at: <https://reut.rs/35FGQLA>

<sup>13</sup> Kelesto Moilwe, "Algeria is Prepared to Fulfil Europe's Gas Demand," *Energy Capital & Power*, 2/3/2022, accessed on 5/3/2022, at: <https://bit.ly/378FlpP>



## خاتمة

في الحصيلة، كان الهجوم الروسي على أوكرانيا اختباراً لنفوذ الولايات المتحدة وروسيا في الشرق الأوسط، وكان تذكيراً، أيضاً، بأن المنطقة لا تزال ضمن الفلك الأميركي، على الرغم من الانتكاسات الأميركية في العراق وسوريا وأفغانستان. وفي هذا السياق، لا يمكن الحديث عن موقف عربي مُوحد أو حيادٍ عربيٍّ، لكن حياد الدول العربية يبدو هو العنوان في التعامل مع التوتر الأميركي - الروسي المستجد الذي لم يُعد مرتبطاً بالشرق الأوسط، بل أصبح أزمة دولية لا تريد الأنظمة العربية أن تكون طرفاً مباشراً فيها؛ وهكذا، فإن كل حكومة تُعني بمصالحها لتفادي الضغوط الخارجية في ذلك النزاع القائم.

ومن علامات الحياد الإقليمي وجود ثلاث وساطات من المنطقة لتقريب وجهات النظر بين روسيا وأوكرانيا؛ وهي وساطات إسرائيلية، وسعودية، وتركية، على الرغم من أن ظروف التسوية لم تُنضج بعد. يُعد هذا الحياد الإقليمي أيضاً نتيجةً لعدم معرفة مصير المعارك العسكرية، لا سيما مصير العاصمة كييف؛ ومن ثم، قد تتبدل المواقف الإقليمية مع التطورات الميدانية والضغوط الأمريكية، مثلما برزت تعديلات خلال الأيام الأخيرة في الموقفين السعودي والإماراتي عبر الاتصال مع زيلين斯基. إن العلاقات الأمريكية - السعودية معقدة منذ انتخاب بايدن. ومن دون تطبيع هذه العلاقة، لا يرجح أن تتجاوز السعودية مع الطلبات الأمريكية فيما يتعلق بروسيا أو أي ملف آخر. وفي هذا السياق، تكتُف إدارة بايدن اتصالاتها مع القيادة السعودية، لكن ما تريده السعودية - فيما يبدو - هو تواصل أمريكي مباشر رفيع المستوى مع ولد العهد محمد بن سلمان.

إن الغزو الروسي لأوكرانيا لا يلغى انطباعاً عربياً رسمياً مفاده أن الولايات المتحدة تراجعت طوعاً في المنطقة؛ فهي تنسب من أفغانستان، وتستعد لاتفاق نووي مع إيران، ولا تدفع بشكل مباشر عن السعودية والإمارات ضد هجمات الحوثيين. وعلى الرغم من هذا الحياد العربي، لا يزال الشرق الأوسط، على نحو حاسم، ضمن الأحادية الأمريكية في كل جوانب العولمة؛ من تبادل تجاري، وأنظمة مالية، وصفقات أسلحة. لكن الحياد الإقليمي لا يقتصر على الرغبة في عدم التدخل في الأزمة الأوكرانية، بل إنه يشتمل أيضاً على الرغبة في عدم رؤية أي طرف في النزاع الأميركي - الروسي غالباً أو مغلوبًا.



## المراجع

- Moilwe, Kelesto. "Algeria is Prepared to Fulfil Europe's Gas Demand." *Energy Capital & Power.* 22022/3/. at: <https://bit.ly/378FlpP>
- National US-Arab Chamber of Commerce. "Pandemic sinks exports to Arab world by 27 percent in 2020 to \$45.66 billion." 162021/2/. at: <https://bit.ly/3hLHIGp>